العناية بالمعلم والكتاب العربي وسيلة لإنهاض اللغة العربية

فتح معاهد في الخارج وسيلة لنشرها

الأستاذ محمود الجومرد

وزارة التربيـــة (بغـــداد)

1 ــ اعتقد بعد تجربة طويلة ــ بأن مشكلة اللغة العربية هي مشكلة وجود المعلم اللائق والكتاب المناسب ، ومهما قيل عن صعوبة اللغة وصعوبة درسها ، فان تلك الاقوال تصدر اعتباطا بدون دراسة وفهم لواقع اللغة العربية وخصائصها .

اما المشاكل التي تحد من انتشارها بسرعة في العالم فهي اهمال الدول العربية ومعها الجامعة العربية نشر اللغة وتجاهلها الاثر النفسي ــ السيكولوجي ــ في المتعلمين وبخاصة في الدول الاسلامية غير العربية .

2 ــ ان انجع الحلول لهذه المشكلة يمكن ان تلخص فيما يلي :

1) ضرورة العناية بمعلم اللغة العربية في دور المعلمين وكليات المعلمين في الدول العربية ، ومن الواجب ان نعد معلم المدرسة الابتدائية اعدادا خاصا، لان بعض الدول العربية لا تهتم بهذا ، ويعتقد المسؤولون فيها بأن معلم المدرسة الابتدائية يصلح لكل شيء متجاهلين ان الذي لا يتذوق الادب ولا يطلع على حضارة العرب الفكرية والعلمية والادبية لا يصلح لغرس الذوق الادبي في نفوس الناشئة ولا يربي جيلا حضاريا يعتز بتراثه وبماضيه وحاضره . وحبذا لو تبنت الجامعة العربية هذه الفكرة والزمت الدول العربية باعداد معلم اللغة العربية اعدادا صحيحا كما تفعل الدول الحية .

2) الكتاب المدرسي هو الوسيلة للوصول الى الهدف ، فاذا كانت الوسيلة قديمة هزيلة معقدة ، ازدادت المشقة وطال الزمن وبعد الهدف وشتان بين عربة قديمة وطيارة حديثة تسابق الصوت مع راحة وامن وسلامة !!

لذلك تجب العناية الدائمة بالكتاب المدرسي ، وقد اغفلت بعض الدول العربية هذه الحقيقة مع الاسف الشديد !!

3) للبلاد العربية سفارات وقنصليات في شتى انحاء العالم ، وللجامعة العربية مكاتب موزعة في بعض البلدان ، والمفروض في الدول العربية والجامعة ان تنتبه الى الناحية ــ السيكولوجية ــ النفسية والى قيمة انتشار اللغة التي هي اداة التعبير والتفكير كوسيلة من وسائل الدعاية الناجحة. فلو قامت هذه السفارات بفتح (معاهد ثقافية) لتعليم اللغة العربية ــ وهذا ما نجده في السفارات الاجنبية في شتى عواصم الدول العربية ــ لاستطاعت ان تجلب عددا كبيرا من المثقفين الاجانب الى دراسة اللغة العربية ، ففي (بغداد) مثلا معاهد لتعليم اللغة الالمانية والفرنسية والانجليزية والروسية وكلها تابعة لسفارات دولها .

ونحن لا نطمع في نشر اللغة العربية في الدول الكبيرة ، لانها ــ في الوقت الحاضر لا تصلح لان تكون مصدرا للعيش والرزق كبقية اللغات الحية ، ولكننا نطمح في نشرها بين الطبقات المثقفة في العالم .

اما الدول الاسلامية غير العربية فلها علينا واجبات : اولهما ديني ، وثانيهما : حضاري .

اما الواجب الديني فان الدين الاسلامي يقترن باللغة العربية ولا يمكن التثقف ومعرفة شعائره وانظمته ما لم يدرس المسلم اللغة العربية . والدول الاسلامية غير العربية تفتقر كثيرا الى معرفة حقائق الدين الاسلامي عن طريق اللغة العربية ، وانا اعرف مثلا : ان تفسير القرآن في (نيجيريا) يكون باللغة الانجليزية، وهذا البلد الذي يزيد عدد المسلمين فيه على (عشرة)

ملايين لا يعرف من اللغة العربية شيئا ، ومثله الباكستان وتركيا وايران والسنغال والصومال الخ.. فحرصا على الدين وعلى عدم التلاعب بمقدساته أصبح من واجب الدول العربية والجامعة الاهتمام بنشر اللغة العربية .

وأما الواجب الحضاري فان نشر الدين الاسلامي وتعليم اللغة العربية يطلع المسلمين غير العرب على حضارة العرب والمسلمين ، وبذلك يزداد شوق ابناء هذه الشعوب الى اللغة والى الدين الاسلامي الذي جمع الشعوب والقبائل وصبها في قالب انساني واحد .

لذلك فان واجب الدول العربية والجامعة العربية الاكثار من فتح هذه (المعاهد الثقافية) في الدول الاسلامية خاصة ، شريطة أن تكون اهدافها علمية بحتا مخافة ابتعاد الناس عنها اذا ما اختلطت بالسياسة وخرجت عن اغراضها !!

وقد قمت انا وزميلي الاستاذ (سليم حكيم) بتنظيم ثلاث كراسات لتعليم الخط العربي لغير العرب واتبعنا في تنظيمها طريقة (الخط الهندسي) الذي اوجده (اخوان الصفا) واتفقنا مع شركة (نلسون) الانجليزية على طبعها وتوزيعها وستوزع لاول مرة في (نيجريا) الشمالية قريبا ، وهكذا استطعنا ان ندخل اللغة العربية في قوائم اللغات الحية التي توزع في دول ما وراء البحار .

3 — ان العقبة التي تجعل اللغة العربية غير صالحة — في الوقت الحاضر — للتدريس الجامعي هي : الاستاذ والكتاب .

فجهل بعض الاساتذة باللغة العربية وبالتحدث بلغة فصحى سليمة بطلاقة ووضوح ، وصعوبة الترجمة بالنسبة لبعضهم ، وسوء طبع الكتب الجامعية وغلاء سعرها بسبب جهل عمال الطباعة ورداءة المطابع في البلاد العربية ، كل هذا يجعل اساتذة الجامعة يتجهون نحو الكتب الاجنبية ويجبرون طلابهم على دراستها وان كانوا ضعفاء في اللغة التي يدرسون بها .

واذا كانت اللغة العربية صالحة للتدريس والبحث الجامعي ، ما هي المشاكل التي تعترض الاساتذة وما هي الحلول في نظركم ؟

4 — ان الحل الوحيد للمشاكل التي تعترض الاساتذة في تدريس التعليم الجامعي هو تأسيس مطبعة كبيرة علمية على حساب الجامعة العربية وتشترك فيها بقية الدول العربية ، لان الكتب الطبية والعلمية الدقيقة التي تصلح للتدريس في هذا العصر لا يمكن ترجمتها وطبعها في المطابع العربية الموجودة ، ولو وجدت المطبعة الدقيقة لما رغب كثير من الاساتذة والطلاب في استعمال اللغة الاجنبية !!

والجامعة العربية يجب ان تنتبه الى هذه المشكلة ؛ ولديها المال الكثير الذي يصرف في امور اخرى ، وحبذا لو اثرتم هذه الفكرة وكنتم انتم الدافع اليها .

5 — ان مشكلة المصطلحات العلمية الاجنبية واستعمال الغريب (الاعجمي) شغلت كل الباحثين اللغويين منذ نشوء التدوين — عند العرب — في اواخر القرن الثاني واوائل القرن الثالث الهجري مثل : ابو عبيدة (المتوفى سنة 209 هـ) والاصمعي (المتوفى سنة 210هـ) وابو زيد الانصاري (المتوفى سنة 215هـ) وغيرهم من علماء اللغة .

واول غريب بحثوا فيه هو غريب القرآن الكريم، ففي القرآن كلمات غريبة من لغات عديدة :

1) السريانية : مثل : طه اليم ، الطور ، الربانيون .
2) الرومية : مثل : الصراط ، القسطاس ، الفردوس .
3) الحبشية : مثل : المشكاة ، كفلين .
4) الحورانية : مثل : هيت لك

فذهب بعضهم الى انها من لغات العجم ، وذهب البعض الآخر الى انها عربية بدليل قوله تعالى (انا انزلناه قرآنا عربيا) .

وهناك أصح المجتهدين الذين يعول عليهم وهو ابو عبيدة (المتوفى سنة 209هـ) يقول : (والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا ، وذلك أن هذه الحروف أصولها اعجمية كما يقول الفقهاء ، الا انها سقطت الى العرب فأعربتها بألسنتها وحولتها عن الفاظ العجم الى الفاظها فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال انها عربية فهو صادق ومن قال اعجمية فهو صادق) .

ونحن لو رجعنا الى آراء العلماء الذين تحدثوا في الغريب والدخيل لذهبنا مذاهب شتى ، ولكن الاجتهاد مقبول في الماضي والحاضر .

ولعل خير من عالج هذا الموضوع هو اللغوي

والنحوي الشهير (ابن جني) المتوفى سنة 392هـ في كتابه (الخصائص) فقد افرد له بابا خاصا اسماه : (باب : في ان ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب) يقول فيه : (هذا موضع شريف ، واكثر الناس يضعف عن احتماله لغموضه ولطفه ، والمنفعة به عامة والتساند اليه مقو ومجد ، وقد نص أبو عثمان عليه فقال : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب !

وقال ابو علي : اذا قلت : طاب الخشكنان ؛ فهذا من كلام العرب لانك باعرابك اياه قد ادخلته في كلام العرب .

ويؤكد هذا عندك ان ما اعرب من اجناس الاعجمية قد اجرته العرب مجرى اصول كلامها ، الا تراهم يصرفون من العلم نحو : آجر وابريسم وفرند وفيروزج ، وجميع ما تدخله لام التعريف ؟؟)

ولم يكتف ابن جني بذلك بل ذكر في الجزء الثاني من كتابه (الخصائص) بابا خاصا اسماه : (باب في شجاعة العربية) ، ويقصد فيه ما يجري في الكلمات العربية من (الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف) لتسهيل اللفظ واداء المعنى .

فالموضوع اذن ، مطروق ومبحوث ومدروس ، وفيه آراء عديدة ، لكن شجاعة اللغة العربية على حد قول ابن جني — تجيز لنا التساهل وعدم التزمت وتحميل العربية فوق طاقتها لاشتقاق كلمات لا تعبر عن المعنى العلمي الاصيل الدقيق الذي نريده !!

ونحن ، مثلا ، استعملنا كلمة (قانون) ويقول السيوطي : ان (ابن سيده) قال في كتابه (المحكم) : قانون كل شيء طريقه ومقايسه ، واراها (دخيلة) . فاذا تركنا كلمة (قانون) هذه الكلمة الدقيقة الدخيلة فأية كلمة عربية اصيلة نستعملها بدلا عنها ؟؟

لذلك فمن واجبنا في مثل هذه الظروف وهذا العصر أن نعتمد على (شجاعة العربية) التي اعترف بها اجدادنا الاوائل وفسحوا لنا المجال لزيادة ثورتها ؛ وعلينا ان ندخل (التلفون والتلفزيون والترنسزتر والمكروب ..)

كما ادخلنا (الدينار والدرهم والبستان والقميص والقنطرة ، والنرجس والكيمياء والجاموس والصك والجوهر والدستور ...) وغيرها في لغة العرب ، ولا نكلف انفسنا ورجال المجامع اللغوية بالبحث الطويل العريض الذي قد يخرجنا عن مقاصدنا وغاياتنا ، وبذلك نحل مشكلنا ونسير مع السائرين !!

---

1) اخوان الصفا ، جمعية دينية سياسية فلسفيةنشأت في البصرة في القرن العاشر الميلادي ولها رسائل مشهورة باسم (رسائل اخوان الصفا) .
2) شركة توماس نلسون المحدودة :Thomas Nelson and Sons Ltd. Books for Overseas
3) كتاب (المزهر) للسيوطي ج 1 ص 268 .
4) المصدر نفسه .
5) كتاب (الخصائص) لابن جني ج 1 ص 357
6) ابو عثمان : هو ابو عثمان المازني اللغويالنحوي الشهير المتوفى سنة 249هـ .
7) ابو علي : هو ابو علي الفارسي النحوي اللغوي، وهو استاذ ابن جني .
8) الخشكنان : دقيق الحنطة يعجن بالسمن ويبسط ويملأ بالسكر واللوز والفستق وماء الورد .
9) كتاب « الخصائص » ج 2 ص 360 .
10) كتاب (المزهر) للسيوطي ج 1 ص 278 .